

الفصل السالسين

الإنبات والنبات في القرآن الكريم

كما ذكرنا فإن التربة هي المهده الذي تنمو فيه النباتات، ومن الناحية العلمية فإن المقصود بعملية الإنبات (Germination) هو تحول البذرة بعد تشرّبها الماء مع وجودها في وسط مناسب من ناحية الماء ودرجة الحرارة والتربة المناسبة، إلى بداية مرحلة نمو النبات، حيث يتكون جذير يتحرك إلى أسفل في قطاع التربة ورشّية تتجه إلى أعلى في اتجاه الشمس، ثم تتكون البادرة التي مع تقدم الوقت تتحول إلى نبات كامل، ولقد ورد في القرآن الكريم معنى إحياء الأرض الميتة بخروج النبات منها، وفي آيات كثيرة ورد ذكر كثير من أنواع النبات من نخيل وزيتون ومحاصيل حقل ومحاصيل خضر وفاكهة، وسوف أحاول هنا ذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الإنبات والنبات، مع بعض الخواطر الإيمانية وأشارات الإعجاز العلمي في بعضها، وأدعو الله أن ينعم عليّ بصحة الفهم وحسن القصد والنية.

وسوف أتناول في هذا الفصل من الكتاب الآيات التي أوردت الإنبات وإحياء الأرض الميتة، والزرع والنبات بكل أنواعه، مع ترك الآيات التي تحدثت عن الرزق وعلاقته بالنبات في الجزء الثالث من الكتاب. وفيما يلي آيات القرآن التي ورد فيها ذكر الإنبات والزرع والنبات مرتبة حسب ترتيبها في المصحف الشريف، وسوف اكتفي بالآيات التي تتحدث عن الإنبات والنبات في الدنيا، مع ترك الآيات التي ذكرت النبات والزرع في الجنة، وذلك تبسيطاً للفهم وإيجازاً في الحديث:

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَنْمُوسَىٰ لَنْ نُّصَبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجَدِ قَادِحُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَاقِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيْطُوا بِمَضْرِبٍ فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ...﴾ [البقرة: ٦١]، حيث طلب قوم موسى منه

أنه يخرج لهم ربه من الأرض الأطعمة الدنيئة ولم يطلبوا خيرا الآخرة، ﴿بَقِيلَهَا﴾، أي نباتات البقول، ﴿وَقَيْشَآبَهَا﴾، وهو محصول الخضر المعروف، ﴿وَقُومَهَا﴾ قيل هو الثوم، وقال ابن عباس هو الحنطة أو البر الذي يعمل منه الخبز، وقال بعضهم القوم كل حب يُخبز أو كل الحبوب.

﴿.... وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ....﴾ [البقرة: ١٦٤]، فالأرض الجافة قاحلة لا حياة فيها، وهذه الأرض الميتة يحييها الله بانزال المطر من السماء عليها، فتنبت كل أنواع النباتات وأيضاً الكثير من أنواع الأحياء والحيوانات التي تدب في الأرض.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فالله يضاعف ثواب الإنفاق في سبيل الله إلى سبعائة ضعف أو أكثر.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفُكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وفي هذه الآية الكريمة إعجاز علمي، حيث تم التعرف علمياً على أن أول خطوات الإنبات هو تشرب الحبوب والنوى للماء فتنتفخ قشرتها ثم تتفلق وتنشق ثم تشق تراب التربة فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها، فالله سبحانه يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، سبحانه الله فقد جمعت هذه الآية العديد من نعم الله علينا ومن آيات الإعجاز، فقله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أي بسبب الماء، والخضر هو الأخضر أخرجنا الأخضر من النبات، وعلمنا حديثاً أن صبغة اليخضور، أي الكلوروفيل الأخضر في

أوراق النبات هي المسئولة عن إتمام عملية التمثيل الضوئي التي هي عملية أساسية لجميع أنواع الحياة، وقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، أي أن الله جعل من الماء نباتاً أو أصل كل شيء حي، وقد تناولت ذلك بالتفصيل في كتاب سابق لي عن «الماء حقائق وأسرار»، وقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ أي زرعاً وشجراً أخضر، ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والتمر، ولهذا قال تعالى: ﴿ نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ أي يركب بعضه بعضاً كالسنابل ونحوها، وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ ﴾ أي جمع قنو وهي عذوق الرطب، ﴿ دَائِيَةٌ ﴾ أي قريبة من المتناول، وقوله تعالى: ﴿ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ أي ونخرج منه جنات من أعناب، وقوله تعالى: ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ أي متشابه في الورق والشكل ومتخالف في الثمار شكلاً وطعمًا، وقوله تعالى: ﴿ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ أي انظروا إليه حال نضجه وفكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود مع اختلاف في اللون والشكل والطعم والرائحة، فالآية الكريمة السابقة لخصت الكثير من حقائق وأسرار كثير من العلوم الزراعية من نبات ومحاصيل وخضر وفاكهة.

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١]، يقول تعالى مبيناً أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام، ﴿ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ أي ما عرش الناس، ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ أي ما خرج في البر والجبال من الثمرات، ﴿ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ أي متشابهاً في المنظر وغير متشابه في الطعم، ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ أي من رطبه وعنبه، ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ يعني الزكاة المفروضة.

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَّفَالاً سَقْنَاهُ بِلَكَرٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[الإعراق: ٥٧]، يرسل الله الرياح ﴿بُشْرًا﴾ أي نشرًا أو منتشرة أي يحياه للأرض الميتة التي لا نبات فيها، وذلك لأن الرياح تحرك السحاب الثقيل فيسقط المطر الذي يحيي الأرض الميتة، فبلد ميت هنا أي أرض ميتة مجدبة لا نبات فيها، والذي أحيا الأرض الميتة قادر سبحانه على إحياء الموتى.

- ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكْدًا كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْأَيْدِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الإعراق: ٥٨]، البلد الطيب هنا أي الأرض الطيبة، وهي التي تتوافر فيها عوامل خصب التربة من ماء وهواء وبناء جيد وعناصر غذائية، كما سبق توضيحه، وهذه الأرض الصالحة يخرج نباتها سريعًا ويكون طيب وهذا بإذن الله، أما الأرض الخبيثة مثل الأسباخ أي الأرض الملحية وغيرها لا تزرع إلا بصعوبة وجهد، ﴿تَكْدًا﴾ ولا تعطي نبات جيد الصفات وقد لا تُنتج على الإطلاق.

- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَنَّهُمْ آمَرُوا بِهَا أَوْ نَهَاوا فَجعلَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيْدِ لِقَوْمٍ يَفْكَرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، فالحياة الدنيا مثل النبات في أوج مراحل النمو الخضري ونهايتها إلى زوال مثل النبات الذي يصفر في نهاية مرحلة النمو ويصبح حصيدًا، وقوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي اختلط الماء بالنبات أو اتصل به وخالطه فرباه ونياه، وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ أي الذين زرعوا الأرض وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا﴾ أي على حصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة، فأبيست أوراقها وأتلفت ثمارها ﴿حَصِيدًا﴾ أي يابسًا بعد الخضرة والنضارة، وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز، ولي هنا خاطرة في ولادة الإنسان وفي موته آية وعظة على قدرة الخالق، ولك أن تنظر إلى النبات كذلك، فعند وضع البذرة في أرض صالحة لا يدري الإنسان هل سوف تخرج وتنتج أم لا مثلما الحال في الإنسان فمنه

العقيم ومنه من ينبج بقدره الله، وإذا ما نظرت إلى النبات في نهاية حياته وبعد أخذ الثمار منه ولاحظته وهو يحتضر ويموت كأنه لم يكن له وجود، فهذه أيضاً آية وعظة، فمن لم يتعظ بالموت «لأي كائن حي سواء إنسان أو حيوان أو نبات» فلا واعظ له.

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرَّحْمَٰنُ: ٣]، فقد جعل الله الأرض مستقر لجميع الأحياء، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون، ليستقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾، أي من كل شيء حي صنفان، وقد أوضحنا في التكاثر في النباتات (خاصة الزهرية منها) أنه يحدث تزاوج بين عضو تذكير وعضو أنثى لكي يتكون فرداً جديداً، وهذه حكمة الله الفرد الصمد فكل ما عداه زوجين سبحانه وتعالى.

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَّرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرَّحْمَٰنُ: ٤]، فقد جعل الله الأرض يجاور بعضها بعضاً مع اختلاف خصائصها مما يدل على قدرة الخالق العظيم سبحانه تعالى، وقوله تعالى: ﴿ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ ﴾ الصنوان هو الأصول المجتمعة في منبت واحد أي للنبات أكثر من ساق واحد أحياناً كما في الرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك، وغير الصنوان أي ما كان على أصل واحد كأغلب الأشجار، وقوله تعالى: ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴾ أي هذا الاختلاف في الثمرات والزرع في الشكل واللون والرائحة والطعم مع أنها تنمو في نفس التربة وتسقى بنفس الماء، وفي ذلك آيات لمن كان واعياً، فسبحانه تعالى الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٦﴾ [الزُّمَرُ: ٢٤-٢٥-٢٦]، الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن الذي يُرفع عمله الصالح إلى السماء، والكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات، ولا يصعد له عمل ولا يتقبل الله منه شيء، وفي حديث عن رسول الله ﷺ ذكر البخاري عن ابن عمر أن الشجرة الطيبة هي النخلة، وقيل الشجرة الخبيثة مثل شجرة الحنظل، وقال ابن عباس ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي شجرة في الجنة وهذا يتماشى من سياق قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الْحَجَّجَاتُ: ١٩]، فقد مد الله الأرض وبسطها ووسعها وجعل فيها جبال رواسي وأنبت فيها من الزروع والشمار المناسبة، وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ أي معلوم ومقدر بقدر.

- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الْحَجَّجَاتُ: ١٠-١١]، أي من الماء شراب ومنه أو بسببه ينبت الشجر والزروع، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي وأخرج الله لكم من الماء شجراً ترعون فيه أنعامكم، حيث السوم: هو الرعي، ويخرج الله لنا من الماء جميع أنواع الزروع والزيتون والنخيل والأعنان ومن كل الثمرات، يخرجها الله من التربة بهذا الماء الواحد على اختلاف أنواعها وصفاتها.

- ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الْحَجَّجَاتُ: ٦٥]، من سياق الحديث في الآيات السابقة لهذه الآية، يكون المعنى هنا أن الله جعل القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيي الله الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء.

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، وقد سبق الحديث عن تشبيه الدنيا بالنبات.

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ [طه: ٥٣-٥٤]، أي جعل لنا الأرض ممهدة ومهيئة لحياتنا وجعل لنا فيها طرقاً نمشي في مناكبها وأخرج لنا بهاء المطر جميع أنواع النباتات لطعامنا وأقوات أنعامنا، وفي كل ذلك آيات لأصحاب العقول السليمة.

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الفتح: ٥]، وهذا دليل على قدرة الله على إحياء الموتى، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة ويخرج منها بواسطة ماء المطر جميع النباتات في أزواج حسنة المنظر طيبة الريح.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَالَّذِينَ... ﴾ [الفتح: ١٨]، وقد تحدثنا من قبل عن سجود كل شيء لله، وسجود كل شيء مما يختص به، والشجر والجبال سجودهما فيضيء ظلالهما على اليمين والشمال.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّكَ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الفتح: ٦٣]، ولقد أرشنا من قبل إلى أهمية اللون الأخضر والكلورفيل لحياة النبات.

﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلآكِلِينَ ﴾ [الأنعام: ١٩-٢٠]، وجعل الله الماء إذا نزل من السماء - وهذا من سياق الآية: (١٨) - سبباً لإخراج جميع النباتات

والبساتين والحدايق ذات المنظر الجميل، وأيضاً النخيل والزيتون اللتان لهما أهمية خاصة علمياً ودينياً، كما يلي:

النخيل: النخلة شجرة طيبة كلها خير ومنافع ويستعمل الإنسان كل جزء منها، حيث يأكل البلح والتمر وهو ما يُعتبر فاكهة وغذاء، وهناك دراسات حديثة لتصنيع الشيكولاتة من نوى البلح والتمر، وتُستعمل جذوع النخيل في سقف وأقامة المباني، ويستعمل جريد النخل في صناعة الأثاث وأدوات حمل الأشياء والزينة، والنخلة تُوصف بأنها شجرة طيبة تشبه المؤمن في أنها كلها خير، وكذلك المؤمن يرفع عمله الصالح إلى السماء، وفي حديث صحيح رواه البخاري عن ابن عمر: قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أخبروني عن شجرة تشبهه أو كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها»، فلما لم يقول الصحابة شيئاً أجاب الرسول ﷺ وقال: «هي النخلة».

وقد أوصى رسول الله ﷺ أن يُفطر الصائم على الماء أو التمر أو التمر مع اللبن، وذلك لما أهدم الله رسوله الكريم ﷺ بفوائد التمر خاصة عندما تكون المعدة خالية من الطعام وحامضية التأثير، ولقد أظهرت علوم الطب والأغذية فوائد التمر الغذائية وتأثيره المفيد في علاج بعض الأمراض مثل حموضة المعدة وغيرها.

الزيتون: الزيتون شجرة مباركة، وتوجد زراعتها مثل النخيل في المناخ الحار الجاف وتحت ظروف التربة غير الجيدة وتتحمل الجفاف ونقص الماء، وأشجار الزيتون كثيرة الفوائد والمنافع، فمن الثمار نستخرج الزيت وبعض أنواع ثمار الزيتون يستخدم في الغذاء كمخللات، ويؤخذ من سيقان أشجار الزيتون الأخشاب، وتستعمل فروعه في الطهي والتدفئة، ومعروف علمياً أن زيت الزيتون خفيف على المعدة ويتميز عن أنواع الزيوت النباتية الأخرى في القيمة الغذائية وفي سهولة الهضم والتأثير المفيد على المعدة والجسم، ويستخدم زيت الزيتون لصناعة زيت الشعر ويستعمل في دهان الجسم لعلاج بعض

الأمراض مثل الأمراض الجلدية، وما زال فرع شجرة الزيتون يستعمل وحتى الآن كرمز للسلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ يعني الزيتون، وقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يُالدُّهِنَّ ﴾ أي ينتفع بزيتها في الدهن والاصطباغ وأيضا كأدم، قال رسول الله ﷺ: « **كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة** ». [أخرجه الإمام أحمد عن مالك بن ربيعة الساعدي مرفوعاً].

وفي الآية التالية إشارة إلى شجرة الزيتون المباركة.

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ أي يستمد من زيت الزيتون شجرة مباركة، ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ بدل أو عطف بيان، والشجرة الموصوفة في هذه الآية الكريمة في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار (الشروق) إلى آخره (الغروب)، فيجني زيتها صافياً بل هو أجود أنواع الزيت.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَدَى رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [التين: ٤٨] أي يحي الله بالماء المنزل من السماء أرضاً هامدة لا نبات فيها طال انتظارها للغيث، فلما جاءها الماء عاشت وأكثت رباها أنواع الأزهار والألوان، ومن هذا الماء يشرب الحيوان والإنسان وتروى الزروع.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [التين: ٧]، خلق الله الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم، من زروع وثمار وحيوان، قال الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

- ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٧٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْمُهَا هُضِيمٌ ﴿﴾ [التَّيْنَةَ: ١٤٧-١٤٨]، يذكر صالح قومه ثمود بنعم الله عليهم وعلى كل عباد الله بأن الله رزقهم وأنبت لهم من الجنات وفجر لهم من العيون، وأخرج لهم الزروع والثمرات، وقوله تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْمُهَا هُضِيمٌ﴾ أي أئنع وبلغ فهو هضيم أي حين يطلع تقبض عليه فتعضمه.

- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿﴾ [التَّيْنَةَ: ٦٠]، قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي لم تكونوا تقدر على إنبات أشجارها والإنبات هنا يعني أيضًا إنبات البذور والثمار والظهور بشكل واضح على سطح التربة، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ أي لا يعترفون بوحدانية الله بل يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق.

- ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿﴾ [التَّيْنَةَ: ٦٣].

- ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿﴾ [الرَّؤُوفُ: ١٩]

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿﴾ [الرَّؤُوفُ: ٢٤].

- ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾ [الرَّؤُوفُ: ٥٠].

- ﴿وَلَمَّا أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿﴾ [الرَّؤُوفُ: ٥١].

- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَغْيَرُ عَمْدٍ تَرَوْنَهَا وَآلْفَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿﴾ [التَّيْنَةَ: ١٠].

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [التَّيْنَةَ: ٢٧]، الأرض الجرز هي التي لا نبات فيها، وبين تعالى لطفه بخلقه في إرساله الماء من السماء والأنهار إلى الأراضي المحتاجة إليه، وبسبب هذا الماء يخرج من هذه الأراضي الزروع التي يتغذى عليها الناس وأنعامهم.

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِحُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ اللَّهُ الْشَّامِتُ ﴾ [فَتَّاطِرٌ: ٩]، الماء هو سبب للحياة، فالبلد الميت هنا يعني الموت لكل من البلد بما فيه من إنسان وحيوان وأرض ونبات، وإرسال الله الماء تظهر كل أنواع الحياة لجميع ما سبق.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فَتَّاطِرٌ: ٢٧-٢٨]، من قدرة الله خلقه الأشياء المتنوعة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها وأيضاً طعمها وروائحها، وكذلك خلق الله الجبال مختلفة الألوان، وكذلك الناس والدواب والأنعام مختلفة الألوان والأشكال والصفات، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به وبما أوجده لعباده؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم كانت الخشية أعظم والطاعة أوجب، والخشية هي التي تحول بين العبد وبين معصية الله عز وجل.

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٢٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يَسِينَ: ٢٣-٢٦]، فكل ما ذكره الله في هذه الآيات دلالة لنا على وجود الخالق العظيم، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى لنا،

لا بسعيننا وكدنا، فنحن لا حول لنا ولا قوة، وتأمل في النهاية قوله تعالى: ﴿وَمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي خلق الله من أزواج أخرى لا ندري ولا نعلم عنها شيء.

- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ﴾ [يَس: ٨٠]، أي الله هو الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً، ثم أعاده إلى أن صار يابساً توقد به النار، أو يصنع منه الفحم أو يوجد في الأرض في صورة فحم نباتي توقد به النار، وقيل المراد بذلك شجر المرخ والغفار الذي ينبت في أرض الحجاز، لو أخذنا منه عودين أخضرين وقدحنا أحدهما بالآخر تتولد النار بينهما، وفي المثل: لكل شجر نار واستمجد المرخ والغفار، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا العناب.

- ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]، وذلك في ذكر قصة سيدنا يونس عندما التقطه الحوت ولبث في بطونه فتره ثم لفظه، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، قال ابن مسعود وابن عباس اليقطين هو القرع، وقال سعيد بن جبير هو كل شجرة لا ساق لها، ومعروف لعلماء النبات «القرعيات» والتي منها الخيار والقثاء والقرع، وذكر بعضهم في القرع صفات وفوائد، منها سرعة نباته وتظليل أوراقه لكبر حجمها وأنه لا يقر بها الذباب، وجودة تغذية ثماره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضاً.

- ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، يقسم علماء النبات والمحاصيل مراحل نمو النبات إلى أربع مراحل هي:

١- المرحلة الأولى وهي تشمل مرحلة الإنبات ومراحل النمو الأولى.

٢- مرحلة تطور النبات، وتبدأ من نهاية المرحلة الأولى حتى الوصول إلى أقصى

نمو خضري.

٣- مرحلة متوسط موسم النمو، وهذه تكون من أقصى نمو خضري حتى بداية النضج والتي يتغير فيها لون الأوراق ويختفي لونها الأخضر، وتستمر هذه المرحلة حتى قرب الحصاد.

٤- مرحلة آخر موسم النمو، وهي من نهاية المرحلة الثالثة حتى اكتمال النضج والحصاد.

والآية السابقة تشير في إيجاز لمراحل نمو النبات، حيث توضح أن أصل الماء في الأرض من السماء، ومن هذا الماء تخرج الزروع المختلفة الشكل والطعم والمنافع، ثم بعد نضارة النبات وشبابه يكتهل فتراه مصفرًا قد خالطه اليبس، ثم يعود يابسًا يتحطم، وفي كل ذلك عبرة لأصحاب العقول الصحيحة.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْقِعِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فُضِّلَتْ: ٣٩].

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تُمْرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فُضِّلَتْ: ٤٧]، أي كل شيء بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَأَنْشُرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الْحُجُّوٓنَ: ١١].

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [التَّحْيَا: ١٨]، يخبر الله تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان، والشجرة كانت بأرض الحديبية.

﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطَكُهُ فَاذْرُهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٩]، فهذه الآية تصف الرسول ﷺ وأصحابه، فقد أخبر سبحانه أن الرسول هو رسوله حقًا بلا شك، ثم ثنى بالثناء على أصحابه **﴿بِحُضْرِهِ﴾**، فأصحاب الرسول أيده وأزره ونصروه، فهم معه كالشطاء من الزرع، **﴿سَطَطَهُ﴾** أي فراخه **﴿فَنَازَرَهُ﴾** أي شده وقواه، **﴿فَأَسْتَقَلَطَ﴾** أي شب وطل، وقوله تعالى: **﴿فَأَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾** نلاحظ هنا لفظ الزراع حيث لا يفهم في ازرع غير المتخصص بعملية الزراعة الذي يفهم في أصولها وهم الزراع، وقوله: **﴿لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾** أي أن الصحابة يغيظون الكفار، فالصحابه لهم الفضل والسبق ولهم الجنة، ومن غاظ الصحابة وبغضهم فهو كافر برأي الإمام مالك **رحمته**، ووافقه طائفة من العلماء، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة **رضي عنه** قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدًا أحدهم ولا نصفه».

- **﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْتَهَا وَالْفَيْنَا فِيهَا رَوْسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾** [قت: ٧].

- **﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ①﴾** وَالنَّخْلَ بَاسِقَدَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ② رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿ [قت: ٩-١٠-١١]، أنزل الله من السماء ماءً نافعًا فأنبت به حدائق وبساتين ونحوها، وقوله تعالى: **﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾** أي الزرع يراد لحبه وادخاره، وقوله تعالى: **﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَدَاتٍ﴾** أي طوألًا شاهقات، وقوله تعالى: **﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾** أي منضود، وأحيا الله بهذا الماء الأرض التي كانت هامدة لا نبات فيها، وهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك.

- **﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَارِ ③﴾** فِيهَا فَكِكُهُ ④ وَالنَّخْلَ ذَاتَ الْأَكَامِرِ ⑤ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿ [التين: ١٠-١١-١٢]، أي وضع الله الأرض وأرسلها بالجبال الشامخات، لتستقر بما على وجهها من الأنام، وهم الخلائق المختلفة، وقوله تعالى: **﴿فِيهَا فَكِكُهُ وَالنَّخْلَ ذَاتَ الْأَكَامِرِ﴾** أي فاكهة مختلفة الألوان والطعوم والروائح، وقد أفرد الله النخل

بالذكر لشرفه ونفعه رطباً ويابساً، والأكمام، كما قال ابن عباس: هي أوعية الطلع، وهو الذي يطلع فيه القنو، ثم ينشق عن العنقود فيكون بسرّاً ثم رطباً، ثم ينضج ويتناهى عنه واستواؤه، وقيل الأكمام رفاتها وهو الليف الذي على عنق النخلة، وقوله تعالى: ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ العصف يعني التبن، وعنه: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس، والريحان يعني الورق.

- ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (١٣) ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُٗٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (١٤) ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [الزَّارِعَاتِ: ٦٣-٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ معناه شق التربة وإثارتها ووضع البذور فيها، ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُٗٓ ﴾ أي تنبتونه في الأرض وتسرونه زرعاً، ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أي بل نحن نقره قراره وننبتة في الأرض... سبحانه يا ربنا نحن لا حول لنا ولا قوة على عمل ذلك، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا ﴾ أي لأيسنانه قبل استوائه واستحصاده، وقوله تعالى: ﴿ فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ أي تنوعون كلامكم، فتقولون تارة ﴿ إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴾ أي معذبون، وتارة تقولون ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح أي لا حظ لنا، وقيل أيضاً في معنى تفكّهون أي تعجبون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم أو تلاومون أو تندمون، قال الكسائي: تفكّه من الأضداد، تقول العرب: تفكّهت بمعنى تنعمت، وتفكّهت بمعنى حزنت.

- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ (٧) ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ [الزَّارِعَاتِ: ٧١-٧٢]، قد سبق الإشارة إلى أن الله جعل من الشجر الأخضر ناراً.

- ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الْحَجَّازِ: ١٧]، وفي هذا إشارة إلى أن الله يلين القلوب بعد قسوتها ويفرج الكروب بعد شدتها، مثلما يحيي الأرض الميتة الهامدة بالغيث، وهو سبحانه لما يشاء فعال.

- ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَترَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿ [الجنّ: ٢٠]، فالدنيا دنيئة وفانية، وقد سبق الإشارة لتشبيه الدنيا بالنبات يصبح حطامًا بعدما كان خضرًا نضراً.

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُسُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴾ -

[الجنّ: ٥]، اللين هو ألوان التمر أو نوع منها، وقال ابن جرير: هو جميع النخل، روى الإمام أحمد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرق، نكاية بهم وخزي لهم وإرغام لأنوفهم، فأنزل الله هذه الآية الكريمة، أي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار، فالجميع بإذنه ومشيئته وقدرته ورضاه.

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح: ١٧]، فهل خلق أو إنبت البشر من تراب

الأرض أصعب من قدرة الله على إنبات بذور النبات، بالطبع لا، والله فعال لما يريد.

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاً ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿ [التنبأ: ١٤-١٦]،

المعصرات هي الرياح تستدر المطر من السحاب أو هي السحاب التي ينزل منها المطر، ﴿ نَّجَاً ﴾ أي منصباً أو متتابعاً أو هو الصب المتتابع، ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ أي بساتين وحدائق مجتمعة الأشجار.

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿ [التنزيل: ٣٠-٣١].

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿١٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿١٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٦﴾ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا

حَبًّا ﴿١٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿١٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿١٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٢٠﴾ وَفَلَكَهًا وَأَبًّا ﴿٢١﴾ مَتْنَعًا لِّكُلِّ لَوْحٍ ﴿٢٢﴾ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٣﴾ وَعِنَبًا

[عَبَسَ: ٢٤-٣٢]، فانظر أيها الإنسان وتعقل من القادر على أن يخرج كل هذه الأصناف

من الطعام للإنسان والحيوان، هل من أحد سوى الله يقدر على ذلك؟، فقد أنزل سبحانه

الماء من السماء فأسكنه في الأرض فأنبت كل الأصناف التالية: ﴿ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٣﴾ وَعِنَبًا

وَقَضْبًا ﴿ فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو الفصفصة

تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضًا، أو هو العلف للحيوان، ﴿ وَزَيْتُونًا ﴾ وهو

معروف، وهو آدم وعصيره آدم ويستصبح به ويدهن به، ﴿وَنَخْلًا﴾ ويؤكل ثمره بلحًا وبسرًا ورطبًا وتمرًا ونيثًا ومطبوخًا ويعتصر منه رب وخل، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ أي بساتين أو كل ما التف واجتمع والشجر الذي يستظل به، وقيل غلبًا أي غلاظ الأوساط، ﴿وَفَيْكِهِةً وَأَبًا﴾ أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار، والأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس أي هو الكلاء والمرعى.

- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى﴾ [الإحزاب: ٤-٥]، أي أخرج جميع صنوف

النباتات والزروع، فجعلها في النهاية هشيًا متغيرًا.

- ﴿وَاللَّيْنِ وَالرَّيْتُونِ﴾ [البقرة: ١].

